وهذا النص يوضح المسألة تماماً ، فليس من عادة أئمـــة هذا الشأن الاعتداد بلغة لخم وقضاعة — كما قال أبو حيان — لكن ابن مالك قد خرج عن هذه العادة ، فاعتد بلغات هذه القبائل، وتابعه على ذلك المتأخرون عنه ، وهذا ما يفسر ورود ذلك فى كتبهم ، وهو فى الوقت نفسه لا يخل بالاتجاه العام للأخذ عن القبائل فى عصر الاستشهاد .

ثانيا : فى موقف التنابذ بين البصريين والكوفيين كثيرا ما طعن البصريون فى آراء منافسيهم اعتمادا على أن الأعراب الذين أخذوا اللغة عنهم لا يعتد بهم .

« قال أبو حاتم : فإذا فسرت حروف القرآن المختلف فيها ، أو حكيت عن العرب شيئا ، فإنمـا أحكيه عن الثقات منهم مثل أبى زيد والأصمعى وأبى عبيدة ويونس وثقات من فصحاء الأعراب وحملة العلم ، ولا ألتفت إلى رواية الكسائى والأحمر والأموى والفراء ونحوهم ، وأعوذ بالله من شرهم[1] .

« ومن ذلك الأبيات المشهورة بين دارسى النحو والمنسوبة لأبى محمد يحيى بن مبارك اليزيدى البصرى :

كنا نقيس النحو فيما مضى ... على لسان العرب الأول
فجاء أقـــوام يقيسونه ... على لغى أشياخ قطر بل
فكلهم يعمل فى نقض ما ... به يصاب الحق لا يأتلى
إن الكسائى وأشياعه ... يرقون فى النحو إلى أسفل

ولعل أشهر من تعرض لذلك من الكوفيين هو « الكسائى » إذ يرد عنه فى كتب طبقات النحاة روايات تدور حول عدم الثقة بروايته اللغة ،

---

(١) مراتب النحويين ص ٩٠ .